Route Educational and Social Science Journal

Volume 4(5), August 2017

Article History		
Received / Geliş	*Accepted / Kabul*	*Available Online / Yayınlanma*
07.08.2017	*08.08.2017*	*15.08.2017*

RELIGIOUS MINORITIES IN URFA AND RURAL AREAS IN THE OTTOMAN TIMES

OSMANLI DÖNEMİNDE URFA VE ÇEVRESİNDE DİNİ AZINLIKLAR

Alakalliyat Ad-Diniyya Fi Urfa ve Rifiha Fi Alahdi Alosmani

***Halid Abdulkadir Alcundi*[1]**

Abstract

Urfa or Al-Ruha was a well-known saint city, located in Turkey. The Christian pilgrims from Mesopotamia, Persia and even from the Far East used to visit this holy city. Most of Urfa's population were Christians till the Islamic conquest when the number of Muslims started to increase all while the number of Christians decreased. The Ottoman State had done its duties toward the Christian, and Jewish religious minorities as stated in Islam. The Ottoman State had taken care of all its citizens in Urfa when it came to science, health and living aspects regardless of their religion; the state opened schools, allowed the construction of churches and treated all of its citizens equally.

Keywords: The Ottoman State, Urfa, Al-Ruha, Christians, Jewish, Islamic conquest

الأقليات الدينية في أورفة وريفها في العهد العثماني

إعداد

الدكتور خالد عبد القادر الجندي

أستاذ مادة التاريخ الحديث والمعاصر في الجامعة اللبنانية

بريد إلكتروني: k.jundi@hotmail.com

[1] Dr., Lübnan Üniversitesi

الملخص

عرفت (أورفة) أو (الرها) بأنها مدينة مقدسة، تقع حاليا في تركيا وكانت المدينة المقدسة عند المسحيين، حيث أمّ اليها الحجاج من بلاد ما بين النهرين وفارس حتى من الشرق الأقصى.

كان معظم سكان أورفة من المسحيين حتى جاء الفتح الاسلامي للمدينة حيث تبدل الحال وأخذ عدد المسلمون ينمو على حساب عدد المسحيين، وقد قامت الدولة العثمانية بما يتوجب عليها تجاه الأقليات الدينية المسيحية واليهودية على قاعدة الشرع الحنيف.

حيث اهتمت الدولة العثمانية بحياة جميع المواطنيين في أورفة من كل الجوانب العلمية والصحية والمعيشية من كل الطوائف، ففتحت لهم المدارس وسمحت ببناء الكنائس وعملت جميع الراعايا بالسواسية.

تمهيد:

أطلق اسم أورفة على منطقة تأسست في وسط أورفة الحالية، وهي واسعة ومتشعبة على طريق يربط بين الموصل وحلب. طبقاً لروايات الناس أنّ مدينة أورفة كانت موضع أحداث قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وعرفت هذه المدينة، باسم المدينة المقدسة ومدينة الأنبياء. حتى إن البعض يعتقد بأن النمرود هو من أسس هذه المدينة، وتُعدُّ مدينة مهمة وتاريخية بالنسبة إلى النصارى، وعرفت هذه المدينة الموجودة في الجزيرة (ديار مضر)، والتي تربط الأناضول بالعراق وسوريا، والمعروف أنها كانت قبل الميلاد بألف سنة، وعاش فيها الأشوريون والميديون والفرس. وبعد فترة قصيرة أخذت اسم "أديسا" أقدم اسم لها. أما أصل كلمة أورفة فهناك اختلاف حول هذا الاسم. قال البعض إنها جاءت من كلمة (أورهاي) السريانية، وقال البعض الآخر إنها من كلمة (فريحا أو فريها)، ومعنى هذا في اللغة العربية "الماء الكثير" ومعناها في اللغات الأوروبية "القلعة" منبع الماء، ولكن هناك أيضاً آراء أخرى تقول إنّ كل ما سبق هو غير صحيح، ولم توضح الموسوعة التركية ما هو الصواب في هذا المجال، ولكن المصادر المكتوبة في فترة الأتراك استخدمت اسم "الرها" لهذه المدينة، الذي جاء في اللغة العربية. وتم استخدامه طوال فترة الحكم العثماني حتى عهد المشروطية، ثم تحول إلى "أورفة" بعد ذلك. ولكن بين الناس كان اسم "الرها" لا يزال يستخدم شفاهياً.[i]

وقبل دخول "الرها" أو "أورفة" تحت الحكم العثماني، أخذت المدينة أسماء عديدة، ومنها "أديسا". لذلك تعدُّ مدينة "الرها" أو "أديسا" "EDESSA" عاصمة إقليم "أوسروين"، من أمهات مدن بلاد ما بين النهرين من حيث موقعها الاستراتيجي، ومكانتها العلمية والأدبية، ومركزها كنقطة إنطلاق للحركة التجارية في كل المنطقة، وما جاورها من المدن والقرى، بالإضافة إلى مناطق وبلدان أخرى في الشرق الأوسط وآسيا.

والسريان، إلى أي مذهب انتموا، يعتزون ويفتخرون بمآثر هذه المدينة الخالدة، ويمجدون ذكرى ما فيها، ويهللون لمواقف آبائهم الروهاويين. وبقيت المدينة لأكثر من ألف سنة تحتل مركزاً فريداً في العالم المسيحي، بصرف النظر عما إذا كان حكامها رومانيين أو بيزنطيين أو عرب أو أتراكاً أو من الأرمن أو اللاتين، فلقد قرنتها التقاليد بالسيد المسيح عليه السلام نفسه، وبنشاطات وإرساليات المسيحية الأولى، وإليها أَمَّ الحجاج من بلاد ما بين النهرين وفارس حتى في الشرق الأقصى. وكانت أساطيرها معروفة ومبجلة في أوروبا الغربية قروناً قبل الفتح النورماندي. وكانت أديرتها وكهوفها مساكن للقديسين والعلماء والشعراء، واشتهرت في العالم المتمدن بأنها مكان مولد فلسفة الأدب السرياني.[ii]

كانت السريانية قد نمت أولاً في الرها من أواخر القرن الأول الميلادي وتبنتها الكنيسة في سورية وفلسطين ثم في العراق وإيران بعد ذلك. وقد أدّت مملكة أورهاي "الرها" دوراً كبيراً في نشأة المسيحية في سوريا، حيث قامت مدرستها في نقل الآداب والتراث اليوناني إلى السريانية، ويرجح أن العهد الجديد قد ترجم فيها إلى السريانية.[iii]

وعلى الرغم من مكانة أورفة التاريخية والاقتصادية والدينية والعلمية، وبحكم موقعها الجغرافي المتميز، إلا أن الدراسات حولها قليلة جداً إن لم تكن نادرة، في اللغة العربية، إلا ما خلا من بعض الكتب الدينية السريانية. لذلك أردت من خلال هذا البحث تسليط الضوء على تاريخ أورفة في العهد العثماني، بالاستناد إلى الوثائق العثمانية، وإبراز الصورة الناصعة للدور العثماني في معاملة الأقليات غير الإسلامية، إذ وصف العهد العثماني وطريقة معاملته للأقليات بالوحشية والهمجية ليس في أورفة وحسب بل في جميع الممالك العثمانية، وهو عكس ما صوره هؤلاء عن الدولة، وهذا ما تدحضه الوثائق العثمانية ؛ علّني أكشف اللثام عن بعض الصور الحقيقية عن معاملة الدولة العثمانية للأقليات غير الإسلامية. ونحن لا ننكر أنه وقعت بعض المظالم من قبل قلّة من الولاة، ولكن الحقيقة أنه عندما كان يقع الظلم كان على المسلمين وغيرهم، وفي النهاية إنّ هؤلاء الولاة، بشر يصيبون ويخطئون ، ونحن لا نبرر أفعالهم ولكن الوثائق وبعض المؤرخين يشيرون إلى هذا الموضوع في أكثر من مكان.

دخول أورفة العهد العثماني:

في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، كانت مدينة أورفة خربة، حيث بدأت في ذلك الوقت هجرة عشائر التركمان المنتسبين إلى قبيلة "دوكر Döğer" إلى تلك المنطقة. وفي أثناء حرب الجزيرة عام 795هـ/1393م، دخلت مدينة أورفة تحت حكم تيمورلنك، وبعد خروجه منها قام أمير "دوكر" " سيف الدين دمشقي خوجا" بالاستيلاء عليها. وفي سنة 806هـ/1404م قام عثمان بك حاكم عشيرة آق قويونلو " الخروف الأبيض" بالاستيلاء على هذه المدينة، وعيّن عليها " ياغمور بك" ومن بعده "طور علي بك". وفي سنة 1429 أو 1480 قام المماليك بتخريب المدينة، بعد أن نهبوها، ظهر في ذلك الوقت الشاه إسماعيل الصفوي، وفي فترة انتشار حكمه في شرق الأناضول، حتى العام 1514م، كانت مدينة أورفة مسرحاً للمعارك التي خاضتها ضد أمراء آق قويونلو ، وازداد تأثير المماليك في تلك الفترة عليها. وفي نهاية هذا العام دخلت المدينة تحت حكم الصفويين، واكتسبت صفة القلعة المحكمة للصفويين. وبعد حرب الصفويين مع العثمانيين في عام 1516- 1517م دخلت مدينة ماردين ومن بعدها أورفة تحت حكم العثمانيين. وبعد ضمها إلى الحكم العثماني، أطلق عليها اسم الرها، وجُعلت سنجقاً عثمانياً تابعاً لإيالة ديار بكر، وتُركت إدارتها بيد " بيري بك".[iv]

عرفت الرها (أورفة) العديد من الإلحاقات بالإيالات طيلة العهد العثماني، فخلال القرن السادس عشر، وعند افتتاحها، تم إلحاقها بإيالة ديار بكر كمركز قضاء. وإثر تشكلها كمدينة بين سنتي 1586- 1587م تم إلحاقها بمركز إيالة الرقة، وقد كانت مركزاً إدارياً وسياسياً. وعلى أثر الحروب التي وقعت مع إيران خلال القرن السابع عشر ، ونتيجة للدور الذي قامت به الرها، ازدادت أهميتها الاستراتيجية والسياسية. وخلال سنة 1875م، وبسبب التنظيمات الإدارية الجديدة، عرفت "الرها" باسم "أورفة"، وأصبحت سنجقاً تابعاً لإيالة حلب، إلى جانب مركز قضاء أورفة . وتبيّن أيضاً أنّ أقضية: بيرجيك، قلعة الروم، وصورتش، كانت مكوّنات لسنجق أورفة، ثم فصلت أورفة عن ولاية حلب خلال الإصلاحات التي تمت في القرن العشرين، لتتحول إلى سنجق مستقل بذاته.[v]

وتقع مدينة أورفة في الشمال الشرقي لمركز ولاية حلب، أي على بعد 24 ساعة منها. يحدها من الشمال الشرقي ديار بكر، ومن الشرق ولاية الموصل وسنجق ماردين، ومن الجنوب سنجق دير الزور وولاية الرقة، ومن الغرب عنتاب أو حالياً غازي عنتاب[vi].

ويحتوي قضاء أورفة على القرى الآتية : قبو، تمورجك، وكم، قوشيم، عزدك، بورج كوتان، قنطرة، همدان التحتاني، همدان الفوقاني، همدان الوسط، يونس، بياملي، هشتران، أوزيك، سيف الدين، بردريج، قرق المغارة، زونيك، حسن كوم، مكليش دوقيو، صارم، خراب الرش، جنيل، كيرلي، كوتشبا، خالطاتلي العشيرة[vii]، فيما

أوردت سالنامة ولاية حلب سنة 1288هـ، أنه كان يوجد في قضاء أورفة ست نواحٍ و400 قرية و56 محلة.[viii]

وكانت أراضي أورفة تنتج العلف والعدس والقمح وسائر أنواع الحبوب. وتعتمد على صناعة بعض الملابس من الحرير والقطن، مثل الأغطية والعباءات والشال الأبيض والمفروشات، بالإضافة إلى الأواني من المعادن. وكان في أورفة المبنى الحكومي والعسكري، وفيها أيضا : قلعة، حصن، ثلاثة مراكز أمن، مستشفى، مبنى التلغراف، 77 جامعاً ومسجداً، 6 زوايا وتكية، 24 كنيسة وأديرة ومغارة.[ix]

أما قضاء بيرجيك، فيقع في أورفة، ويبعد عنها مسافة قدرها 18 ساعة، وعن ولاية حلب 28 ساعة، ويمر نهر الفرات فيها. وفيه المبنى الحكومي، القلعة العتيقة، 17 جامعاً ومسجداً، 7 تكايا، 3 كنائس، مكتب الرشدية، ثمانية مكاتب للصبيان.[x] وتذكر سالنامة ولاية حلب لسنة 1288هـ فتذكر أن قضاء بيرجيك يتألف من سبع محلات وأربع نواح، وفيه 114 قرية.[xi] وفي قضاء سروج 76 قرية.[xii] أما قلعة الروم فنجد فيها ثلاث محلات، وثلاث نواحٍ و150 قرية.[xiii]

السكان:

ينتمي معظم سكان أورفة إلى الآراميين، وقد منحت تسمية "سريان" إلى هذا العنصر من المجتمع الذي أصبح خلال القرن الرابع الميلادي يمثل الغالبية لسكان المدينة. وربما هذا الأمر يفسر ارتفاع عدد المسيحيين في المدينة أو في المنطقة بأسرها. وحسب ما قدمه "ماتيوس" من معلومات حول سكان أورفة سنة 973م، فإن عدد السكان المسيحيين بلغ 12000 نسمة. وفي عهد "السِلِفكوسيين" استقر في المدينة أناس من أصل يوناني وآرامي، وخلال العهد الأموي دخل الأرمن إليها ضمن مكونات المجتمع الأورفي ، وعرفت المنطقة هجرة القبائل العربية بشكل كبير، التي استقرت في هذه المدينة والمناطق المجاورة لها. وعلى الرغم من الاختلاط بين العرب المسلمين والسكان الأصليين المسيحيين خلال العهد المبكر من التاريخ الإسلامي، إلا أن ذلك لم يكن له تأثير كبير على السكان ، بل ظلت المسيحية هي الديانة المهيمنة على المدينة. وفي العهد العباسي سُنّ العديد من القوانين الاقتصادية التي تخص المسيحيين. وكان سكان أورفة فسيفساء من المسلمين والمسيحيين واليهود خلال هذه المرحلة التاريخية، ونشير إلى أن عدداً من المسيحيين قد اعتنقوا الدين الإسلامي، وربما يعود ذلك إلى الامتيازات الاقتصادية التي كان يتمتع بها المسلمون.[xiv]

ومع الدخول العثماني إلى المدينة سنة 1516- 1517م، كانت نسبة المسلمين 72%، وغير المسلمين 28%، أما سنة 1525 فقد قدر عدد المسلمين بـ5122 نسمة وغير المسلمين بـ 1759نسمة. فحدث ارتفاع في نسب عدد السكان المسلمين، فأصبحوا يشكلون 78% وغير المسلمين 22%. وفي سنة 1566 أصبح عدد سكان

المدينة من المسلمين 9325 نسمة ومن غير المسلمين 4551 نسمة، وأصبحت النسبة من المسلمين 67%، وغير المسلمين 33%.[xv] وهذا الارتفاع الملحوظ في عدد السكان غير المسلمين يدل على أمرين:

أولاً- حسن معاملة الدولة العثمانية للأقليات الدينية على أراضيها.

ثانياً- نتيجة هذه المعاملة دفع بعض أصحاب الديانات (غير المسلمين) إلى الهجرة إلى أورفة.

اتبعت الدولة العثمانية نوعاً من التنظيم للسكان، فجعلت لكل ملة حيّاً سكنياً أو منطقة خاصة بها كي تمارس كل فئة حياتها براحة. وبحسب دفاتر الجزية، صنفت الأحياء إلى حي ملة الأرمن، الكلدان، السريان، اليهود.. وغيرهم. فيتم التسكين أو التوطين حسب التبعية الدينية أو المذهبية للسكان.[xvi]

وهذا التوزيع أو التنظيم الذي قامت به الدولة العثمانية، ساهم في ظهور منظومة الأحياء والمدن السكنية. وفي العادة يكون التجمع السكاني حول الجوامع والمساجد، وهو ما يستلزم إنشاء المحلات التجارية والأسواق والحمامات والمكاتب والمدارس. وهذه الظاهرة السكانية نتج عنها أيضاً تقسيم المنطقة إلى أحياءٍ ومحلة أو حارة وذلك خلال القرن السادس عشر[xvii] . ونستنتج أن مدينة أورفة خلال العهد العثماني اتخذت شكل المدينة الإسلامية، بعد أن كان يغلب عليها الطابع المسيحي، سواء من الناحية المعمارية أو من ناحية التوزيع السكاني.

ومن هذه الأحياء التي يقطنها المسلمون وغير المسلمين وفق ما ورد في بعض سالنامات ولاية حلب:

- حارة خليل الرحمن، يتبعها الأحياء الآتية: محل الرحمن، طهتمور، مولد الخليل، نارنجي، كازنجي، علي خان باي، كرك مغارة، السلطان باي، الخليفة، كوتيلار، الحاج حمزة، المدرسة، العسكر، كاربورج / شهابية، حسن باشا، الجامع الكبير/الأحلامية، المحكمة، القبرسلي، كتب الدين غورن، طنجانة.
- حارة الجامع الكبير تتبعها أحياء: مشارقية، جامع البزار.
- حارة يوسف باشا يتبعها الأحياء: يوسف باشا، دار غزنلي، الكنبرية، حكيم دادا، قاضي أوغلو، هاسكي، بكلار.
- حارة المسيح تتبعها أحياء: الكنيسة الكبيرة،بيجانلي، طالفتور، تيمور، أط بازار.
- حارة الكنيسة الصغرى يتبعها أحياء: طشرا، الكاثوليك، اليهود[xviii].

معاملة الدولة العثمانية للسكان غير المسلمين ، وأعدادهم:

التزم العثمانيون تعاليم الإسلام في ما يتعلق بغير المسلمين الذين يعيشون داخل الأراضي العثمانية، فهذه القواعد الشرعية التي كان معمولاً بها من قبل العثمانيين، كانت تطلق كلمة "الذميين" على غير المسلمين الذين كانوا يعيشون تحت حكمها، ويعقدون صلحاً معها، شأنهم في ذلك شأن كل الدول الإسلامية، ولم يكن هناك أي تفريق بين المسلمين العثمانيين وغيرهم من الملل الأخرى على أسس عرقية ولا لغوية ولا مذهبية ، إلا منذ بداية القرن التاسع عشر و حتى مطلع القرن العشرين مع تدخل الدول الأوروبية في شؤون السلطنة. ومن الطبيعي أن يمتلك الذميون في الدولة العثمانية ملامح تجعلهم مختلفين عن المسلمين، وهذا نتاج طبيعي للاختلاف في الدين.

وعلى سبيل المثال كان المسلمون مكلفين بأداء فريضة الزكاة، لكن أهل الذمة كانوا معفيين من دفعها، وبدلاً من ذلك كانوا يدفعون الجزية سنوياً حسب القدرة المالية، ويوجد بينهم من أُعفي من دفع الجزية مثل الفقراء ورجال الدين والمرضى والمسنين والعاطلين عن العمل.[xix]

وكانت أعداد السكان في أورفة تزداد أحياناً وتنقص أحياناً أخرى، وذلك لعدة أسباب، أهمها الهجرة والهجرة المضادة، واعتناق بعض المسيحيين للإسلام... الخ. وسنستعرض أعداد السكان في بعض سالنامات ولاية حلب، ثم نسبة الزيادة أو النقصان للمسلمين وغير المسلمين، ونرى ما كانت أسباب التغيير الديمغرافي لمدينة أورفة.

جدول بعدد سكان أورفة حسب سالنامة ولاية حلب لسنة 1284هـ[xx]

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	27102	24799	51901
الأرمن	5849	5642	11491
البروتستانت	534	546	1080
الكاثوليك	148	130	278
السريان القدامى	1127	777	1904
السريان البروتستانت	118	92	210
السريان الكاثوليك	109	90	199
الكلدانيون	193	197	390
اللاتين	19	13	32
اليهود	241	243	484

جدول رقم (1)

عدد سكان مدينة أورفة وأقضيتها حسب سالنامة ولاية حلب لسنة 1289هـ[xxi]

أسماء الأقضية	المسلمون	العيسويون	الموسويون	العدد الإجمالي
أورفة	21589	5872	124	27585
بيرجيك	11554	469	-	12023
قلعة الروم	14566	410	-	14976
سروج	5994	15	-	6009

جدول رقم (2)

وتبلغ نسبة السكان المسلمين في أورفة 78،26 %، أما العيسويون فتبلغ نسبتهم 21،28 % ، واليهود 0،44 %، وقضاء بيرجيك تبلغ هذه النسبة 96،1%. أما العيسويون فتبلغ النسبة 3،9% ، واليهود لا وجود لهم في القضاء. وفي قضاء قلعة الروم بلغت نسبة المسلمين 97،26%، أما العيسويون فتبلغ نسبتهم 2،73 %، وقد خلا وجود اليهود في قضاء قلعة الروم، بالنسبة لسروج فتبلغ نسبة المسلمين 99،75% ، أما نسبة العيسويين فتبلغ 0،25%، ولا وجود لليهود في قضاء سروج نهائياً، مع العلم أن العيسويين يتكونون من جميع المذاهب.

عدد سكان أورفة وأقضيتها من جميع الملل وحسب سالنامة ولاية حلب لسنة 1290هـ[xxii]

اللواء	مسلمون	عيساويون	موسويون	العدد الإجمالي
أورفة	88048	12178	436	100662

جدول رقم (3)

بلغت نسبة المسلمين عام 1290هـ، 87،46%، ونسبة العيساويين 12،09%، ونسبة الموسويين 0،43% . ونلاحظ من خلال المقارنة بين الجدول رقم (2) والجدول رقم (3) أن هناك زيادة بنسبة طفيفة بين السكان المسيحيين، وهي 11،16% وفق الجدول الأول، و12،09% في الجدول الثاني، أي بزيادة قدرها 0،93% .

ولنأخذ نماذج أخرى من سالنامات ولاية حلب لإحصاء عدد السكان في الجدول الثاني، لنرى مدى التغيير الديمغرافي لمدينة أورفة، وعدد سكانها من جميع الملل حسب سالنامة ولاية حلب سنة 1308هـ.[xxiii]

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	24426	22645	47071
الأرمن الكاثوليك	222	236	458
الأرمن	3987	3136	7123
البروتستانت	393	322	715
السريان	592	483	1075
اليهود	138	128	266

جدول رقم (4)

نلاحظ في هذه السالنامة أن بعض المذاهب المسيحية لم يعد لها ذكر ، كالسريان القدامى والسريان البروتستانت والكلدانيين واللاتين، هل هم هاجروا؟ أم أن السالنامة لم تأتِ على ذكرهم؟ أم تحولوا إلى مذاهب أخرى؟ فلا يعقل أن تتجاوزهم السالنامة أو تتناساهم، لأن الدولة العثمانية كانت حريصة على إجراء الإحصاءات كل سنة بعد عهد التنظيمات، من أجل دفع البدل العسكري لغير المسلمين الذين لا يريدون الانخراط في الجندية، و نلاحظ أيضاً انخفاض الأعداد في بعض المذاهب.

ولننتقل إلى إحصاء جديد لسكان أورفة، وحسب سالنامة ولاية حلب سنة 1309هـ.[xxiv] لنجري مقارنة بين الجدولين:

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	26301	26707	53008
الأرمن الكاثوليك	222	236	458
الأرمن	4495	3164	7659
البروتستانت	392	322	714
السريان	592	483	1075
اليهود	138	128	266

جدول رقم (5)

إذا ما أجرينا مقارنة بين الجدول رقم (4) والجدول رقم (5)، نلاحظ الأمور الآتية:

أولاً- تغيير في المذاهب، فالمسيحية واليهودية الواردة في الجدول رقم (4)، هي نفسها في الجدول رقم (5).

ثانياً- نلاحظ في الجدول رقم (4) أن عدد المسلمين هو 47071 نسمة، مما يعني أن نسبتهم 83%، أما المسيحيون فقد بلغ عددهم 9371 نسمة ونسبتهم 16،52% ، واليهود لم يحصل أي تغيير في عددهم، وفق الجدولين أما نسبتهم فهي 0،46%.

ثالثاً: بالنسبة إلى أعداد الملل لجدول رقم (5)، نلاحظ أن عدد المسلمين بلغ 53008 نسمة، ونسبتهم 83،89 % بينما عدد السكان المسيحيين بكل مذاهبهم، فقد بلغ 9906 نسمة، بنسبة 15،67 %، واليهود فقد بلغ عددهم 266 نسمة، بنسبة بلغ 0،42%.

رابعاً- بالاستناد إلى الجدولين (4) و (5) نرى أن عدد المسلمين قد ازداد لسنة 1309هـ، عن عدد السكان لسنة 1308هـ، إذ بلغت الزيادة 5937 نسمة. وربما يعود هذا إلى هجرة بعض المسلمين إلى أورفة، أو بسبب اعتناق بعض أصحاب المذاهب المسيحية للإسلام ، ففي مراسلة تلغرافية مشفرة، من متصرف أورفة السيد حيدر إلى نظارة الداخلية بتاريخ 3 أغسطس 1331هـ، جاء فيها أن " هنالك مجموعة من الأرمن

في بيرجيك قد اعتنقوا الإسلام، وعلى ضوء ذلك يريدون تغيير أسمائهم وتحويل الكنائس التابعة لهم إلى جوامع"[xxv].

أما المسيحيون فنلاحظ أيضاً زيادة طفيفة في أعدادهم بين الجدولين، لكن لا زيادة أو نقصان بأعداد اليهود، وربما يعود ذلك إلى أن الحاخامات اليهود، كانوا يفرضون على أتباعهم السكن في أحياء منغلقة، وعدم الاختلاط مع غيرهم من السكان المحليين، حتى لا يتأثروا بأحد، شأنهم بذلك شأن كل اليهود الذين استوطنوا في أراضي الدولة العثمانية.

ويرجح أنّ لحركة الهجرة من الريف إلى المدينة- وبالعكس- أثّرا أيضاً في بعض الزيادة والنقصان لأعداد السكان، وخصوصاً في القرن السادس عشر، حيث كان لهذه الحركة دور مهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية للمدينة: "مراسلة من والي حلب إلى الباب العالي بتاريخ 1 مارس 1312هـ، أن الأرمن الذين هاجروا من أورفة وعنتاب وبيرجيك إلى حلب، والذين ظلوا على الديانة المسيحية الكاثوليكية أو الذين دخلوا الديانة الإسلامية، ثم ارتدوا يتعرضون إلى مضايقات لإجبارهم على العودة من حيث أتوا "[xxvi].

يضاف إلى ذلك تأثير الهجرات الداخلية أو النزوح إذ عرفت المدينة حركة سكانية أو هجرة من المدن المجاورة لها مثل : بغداد، مالاطيا، ماردين، وغيرها من المدن. ومن القبائل أو العشائر المهاجرة، التركمان مثل عشيرة حمزة، حاجيلو وحيدر، سينجان، باهر وغيرهم. وفي بداية القرن التاسع عشر كان عدد سكان المدينة 50،000 نسمة منهم 20 ألف غير المسلمين و5000 يهودي والبقية أي 25000 من المسلمين. ومن ضمن المسيحيين نجد الأغلبية من الأرمن والسريان، وكان السكان خليطاً من العرب، الأرمن، الأكراد، الروم، السريان، الأتراك واليهود. وعلى أثر مجيء المبشرين المسيحيين إلى مدينة أورفة في بداية القرن التاسع عشر أصبح عدد المسيحيين 20000 ، ومن المرتبطين أو التابعين للكنيسة الغريغورية نجد 12000 أرمني و5000 سرياني وحوالي 1000 أو 1200 أرمن كاثوليكي،والأرمن البروتستانت 2000 نسمة.[xxvii]

وقد اتبع بعض المبشرين المسيحيين القوة لفرض مذهبهم أو لإجبار المذاهب الأخرى اعتناقه ، حيث ورد في مراسلة من والي حلب إلى نظارة الداخلية بتاريخ 6 ربيع الأول 1314هـ " أن الجماعات الأرمنية تعمل على إجبار السريان القدماء على اعتناق المذهب الأرمني، وذلك باستعمال القوة، وقد نتج عن ذلك عمليات قتل ونهب للممتلكات. وعلى أثر تقديم الرؤساء الروحانيين بأورفة شكاية، تم استدعاء بطريرك السريان الخدم للتأكيد له أن حقوق الملة المذكورة محفوظة. وعلى ضوء ما ذكر فقد اتهمت الجماعات الأرمنية بمهاجمة معبد "جزر إلياس" بأورفة وقتل 21 شخص ونهب أموالهم وممتلكاتهم".[xxviii]

وكـان للمبشـرين الأمريكـان البروتسـتانت والكاثوليـك دور مهـمّ فـي التغييـر الـديمغرافي الـذي طـرأ علـى المجتمـع الأورفـي والأقضـية، ولـم يـدخروا وسـيلة إلا واستعملوها، ومنها الأموال لاستمالة بعض السكان إلـى هذين المذهبين ، وفق مـا جـاء في تقرير عثماني" أن المبشرين الأمريكان سعوا لجعل المسيحيين القاطنين في أورفـة، إنطاليـا، مـرعش وعنتـاب يعتنقون المذهب الكـاثوليكي والبروتسـتانتي. وقد قـام هؤلاء بتخصـيص مبلـغ وقـدره 30 ألـف دولار أمريكـي لمسـاعدة المسـيحيين لتغييـر مـذهبهم، وذلـك بمسـاعدة الملـة الأرمنيـة. وقـام المبشـرون الأمريكـان بعنتـاب بتسـليم مسـاعدات لفقراء الأرمن القاطنين بجبل موسى التـابع لقصـبة عنتـاب، وقامـت السـلطات العثمانيـة، بالتحقيق في الأمر، فتبين لها أنه إلى جانـب المبشـرين الأمريكـان يوجـد أيضـاً مبشـرون إنكليز".[xxix]

وكانت دعاية المبشرين الأمريكان قوية، مما أدى إلى اعتناق العديد مـن المذاهب المسـيحية للمـذهبين الكـاثوليكي والبروتسـتانتي: " إن المبشـرين الأمريكـان سـعوا إلـى جعـل جميـع مسـيحي أورفـة أنطاليـا مـرعش وعنتـاب يعتنقـون المـذهب الكـاثوليكي والبروتستانتي".[xxx]

وقـام الأرمـن بـدور مهـم فـي مسـاعدة المبشـرين الأمريكـان، فـي الـدعوة للمـذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي، وقد حاولت بعض المذاهب إقامة شعائرها الدينيـة فـي أمـاكن عبـادة غيـر أماكنهـا، وذلـك بتحـريض مـن بعـض المبشـرين، الأمـر الـذي اسـتلزم تـدخل الدولة العثمانية وإعادة الأمور إلى نصابها، بعدما كانـت لا تتـدخل فـي عمـل المبشـرين، وذلك يعود إلى اتباع مبدأ حرية الأديـان لكـل ملـة، شـرط أن لا يـؤدي ذلـك إلـى الإخـلال والاضطراب في الأمن:" سعى المبشرون الأمريكان إلى جعل مسيحيي أورفة يعتنقون المذهب الكاثوليكي والبروتستانتي ، وذلك بمساعدة الأرمن، إلى جانب ذلك دعـا هؤلاء المبشرون الملة الكاثوليكية إلى ممارسة عبادتهم بالكنيسة البروتستانتية، فقد أمـر البـاب العـالي بضـرورة التأكيـد لسـكان الولايـات فـي مختلـف الـديانات والمـذاهب الالتـزام بممارسة عباداتهم ضمن الكنائس وأماكن العبادة الخاصة بكل ملة أو ديانة منهم".[xxxi]

وبالعودة إلى أعداد السكان في أورفة، نطرح السؤال : هل كـان لحركـة المبشـرين تأثير كبير في التغيير الديمغرافي؟

ولنعـرض الجـدول الآتـي لتبيـان عـدد سـكان أورفـة حسـب سـالنامة حلـب سـنة 1317هـ.[xxxii]

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	25821	26113	51934
الأرمن الكاثوليك	53	102	155
الأرمن	4870	3485	8355
السريان	609	486	1095
البروتستانت	282	208	490
اليهود	275	173	448

جدول رقم (6)

نلاحظ من هذا الجدول أن هناك زيادة ملحوظة في أعداد جميع السكان، مقارنة مع إحصاء سالنامة ولاية حلب سنة 1309هـ، ولكن ما يهمنا أن عدد المسيحيين قد زاد في المدينة بنسبة ملحوظة. فبعد أن كان عددهم سنة 1309هـ 9371نسمة، نجد أنه أصبح سنة 1317هـ، 10095 نسمة، أي بزيادة 724 نسمة. أما عدد اليهود سنة 1309هـ كان 266 نسمة، أما سنة 1317هـ فقد وصل إلى 448نسمة، أي بزيادة 182 نسمة. وربما هذه الزيادة ناتجة عن هجرات بعض الملل المسيحية إلى أورفة بسبب المعاملة الحسنة والجيدة للأقليات الدينية من قبل الدولة العثمانية. وفي رسالة من والي حلب إلى نظارة الداخلية بتاريخ 24 شعبان 1328هـ جاء فيها:" إلى متصرف أورفة يقر الباب العالي أن حقوق التابعية الفرنسية بأورفة محفوظة"[xxxiii].

ولم تكن الدولة لتفرق في معاملتها من حيث الوظائف بين المسلم وغيره، إذ ورد في مراسلات وكيل بطريرك السريان رسالة إلى السلطات العثمانية، يطالب فيها بإنصاف الأرمن السريان في الوظائف الحكومية، حيث تذكر الوثيقة:" أن هناك انتخابات لأعضاء المحكمة بولاية حلب، وعلى أثر الموافقة على إبقاء السيد "شيموس بولص" عضواً في المحكمة لتمثيل السريان الخدم، لذلك فالأرمن السريان بأورفة يطالبون أيضاً بانتخاب عضو خاص بهم لتمثيلهم في مجلس المحكمة"[xxxiv] وكانت الدولة تعطي الأقليات غير الإسلامية مناصب في الإدارة المحلية في أورفة، بيرجيك وقلعة الروم[xxxv]، ولم تبخل الدولة العثمانية بإضفاء بعض الألقاب على المسيحيين، فقد " تم توجيه الرتبة الثالثة إلى كلّ من عروش أفندي، جبرائيل نومان أفندي، وميخائيل الرسام أفندي، التابعين للملة السريانية ومن المعتبرين بأورفة".[xxxvi]

وكان عدد سكان أورفة في تزايد مستمر، ففي إحصاء سالنامة ولاية حلب سنة 1318هـ[xxxvii]، كان عدد سكان أورفة على النحو الآتي:

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	26262	26591	52853
الأرمن الكاثوليك	310	298	608
الأرمن	3797	4485	8282
السريان	730	761	1491
البروتستانت	517	630	1147
اليهود	231	249	480

جدول رقم (7)

نستعرض إحصاء آخر، ونجري مقارنة بين السنتين، لنبين حجم الزيادة أو النقصان لأعداد الملل، فلنأخذ سالنامة ولاية حلب لسنة 1321هـ[xxxviii].

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	26560	27698	54258
الأرمن	3893	4757	8650
الكاثوليك	347	464	811
الكاثوليك السريان	743	837	1580
السريان الخدم	57	59	116
البروتستانت	449	664	1113
الكلدان	59	60	119
اليهود	194	256	450

جدول رقم (8)

وإذا ما أجرينا مقارنة بين هذين الجدولين رقم (7) و (8)، نجد عدة أمور منها:

أولاً- هناك مذاهب مسيحية وردت في الجدول رقم (8)، لم ترد في الجدول رقم (7)، مع العلم أنها وردت في الجداول السابقة، مثل السريان الخدم والكلدان والكاثوليك السريان. وبما أنه ورد في إحصائية الجدول رقم (8)، الكاثوليك السريان بينما لم يرد ذكر هذا المذهب في الجدول رقم (7)، فهذا يعني بوضوح نسبة الزيادة للأعداد المسيحية.

ثانياً- في الجدول رقم (7) إن عدد المسلمين هو 52853 نسمة، أي ما نسبته 81،48% ، وفي الجدول رقم (8) نجد أن عدد المسلمين 54258 نسمة أي ما نسبته 80،86% أي بنقصان قدره 0،62% بالنسبة إلى العدد الإجمالي للسكان. أما المسيحيون فعددهم في الجدول رقم (7) 11528 نسمة، أي ما نسبته 17،77%، أما في الجدول رقم (8) فعددهم 12389 نسمة، أي ما نسبته 18،46% أي بزيادة قدرها 0،69% . أما اليهود فقد بلغ عددهم في الجدول رقم (7) 480 نسمة أي ما نسبته 0،74%، أما في الجدول رقم (8) فقد بلغ عددهم 450 نسمة أي ما نسبته 0،67% أي بنقصان وقدره 0،02 % .

أما عدد السكان في الأقضية التابعة لأورفة فكانت موزعة، على الشكل الآتي[xxxix]:

القضاء	المسلمون	العيسويون	الموسويون
بيرجيك	29053	500	لا يوجد
قلعة الروم	10189	1674	لا يوجد
صورتش	7500	لا يوجد	لا يوجد

جدول رقم (9)

نلاحظ من خلال الجدول رقم (9) والجداول السابقة أن اليهود كانوا يتواجدون فقط في مدينة أورفة من دون غيرها، تطبيقاً لمبدأ الانغلاق على النفس، وعدم الاختلاط بالآخرين. أما المسيحيون فكانوا في قضائي بيرجيك وقلعة الروم، من دون أن يكون لهم تواجد في قضاء صورتش.

وكان عدد سكان قلعة الروم على الشكل الآتي[xl]

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	11869	11366	23235
الأرمن	300	287	587

جدول رقم (10)

وعدد سكان صورتش هو :

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	9245	9147	18392
الأرمن	34	33	67

جدول رقم (11)

ونلاحظ من خلال هذه الإحصاءات أنه أصبح يوجد في أقضية أورفة بعض الملل المسيحية التي لم يكن لها وجود سابقاً، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على حسن معاملة الدولة العثمانية للأقليات غير الإسلامية، فحسب إحصاء سنة 1305هـ كان عدد سكان بيرجيك على النحو الآتي[xli]:

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	10177	10349	20526
الأرمن الكاثوليك	176	135	311
الأرمن	381	312	693
البروتستانت	179	135	314
اليهود	13	6	19

جدول رقم (12)

أما عدد سكان قلعة الروم:

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	11515	10757	22272
الأرمن	291	273	564

جدول رقم (13)

وبالنسبة لسكان صورتش

الملة	الذكور	الإناث	العدد الإجمالي
المسلمون	8844	8408	17252
الأرمن	33	33	66

جدول رقم (14)

المكاتب ودور العبادة في أورفة:

أعداد المدارس والمكاتب في أورفة وتوابعها حسب سالنامة ولاية حلب سنة 1299هـ.[xlii]

القضاء	المدارس العلمية		المكاتب الرشدية		مكاتب صبيان إسلامية		مكاتب غير إسلامية	
	عدد المدارس	عدد التلاميذ	عدد المدارس	عدد التلاميذ	عدد المدارس	عدد لتلاميذ	عدد المدارس	عدد التلاميذ
أورفة	18	500	1	74	44	756	18	1134
بيرجيك	7	100	1	87	10	234	2	55
قلعة الروم	-	-	1	41	1	26	-	-

جدول رقم (15)

نلاحظ أنَّ أعداد المدارس، وحسب سالنامات ولاية حلب سنوات : 1303[xliii]، 1305[xliv]، 1306[xlv]، 1307[xlvi]، ليس فيها أي تغيير ولا حتى المكاتب وعدد التلاميذ، بكافة المراحل للمسلمين وغير المسلمين.

أما "Fahmettin Aydin" فيروي أن أعداد المكاتب والجوامع والمساجد والكنائس والأديرة في أورفة كانت على الشكل الآتي[xlvii]:

دور العبادة	العدد	المكاتب	العدد
الجوامع	24	المدارس	1
المساجد	22	المكاتب الإسلامية	21
الكنائس	9	مدارس للمسيحيين	13
الأديرة	1		

جدول رقم (16)

مع العلم أن الجوامع هي الأكبر من المساجد حيث تقام فيها صلاة الجمعة، أما المساجد فعلى الأغلب كانت تقام فيها الصلوات الخمس.

وفي إحصاء سنة 1285هـ/1868م، كانت على الشكل الآتي: جوامع 30، مساجد 25، كنائس 7، دير واحد، مكاتب إسلامية 34، مكاتب مسيحية 13[xlviii].

وبالمقارنة مع السنة الماضية، فقد ارتفع عدد الجوامع إلى 30 بعد أن كان 24، والمساجد من 22 إلى 25 مسجد؛ أما الكنائس فقد شهد عددها تراجعاً من 9 إلى 7.

أما إحصاءات سالنامة ولاية حلب لسنة 1286هـ/1869م[xlix]، بالنسبة إلى دور العبادة والمؤسسات التعليمية فكانت على الشكل الآتي:

القضاء	الجوامع	المساجد	تكية	كنائس	أديرة	كنيس
أورفة	30	25	8	7	1	-
بيرجيك	17	11	3	2	-	-
صورتش	2	-	-	-	-	-
قلعة الروم	7	6	-	2	-	-
المجموع	56	42	11	11	1	-

جدول رقم (17)

أما أماكن العبادة والمؤسسات التعليمية لسنة 1295هـ[l]، فكانت على الشكل الآتي:

القضاء	المساجد	الكنائس	الأديرة	مكاتب إسلامية	مكاتب مسيحية
أورفة	25	11	1	13	40
قلعة الروم	6	3	-	1	8
بيرجيك	11	3	-	3	10

جدول رقم (18)

نلاحظ أن هناك ازدياداً ملحوظاً في عدد الكنائس والمدارس المسيحية، وربما يعود هذا إلى ازدياد أعداد المسيحيين في أورفة وأقضيتها كما أسلفنا سابقاً.

أما إحصاء المؤسسات التعليمية سنة 1890م[li]، فكانت على الشكل الآتي:

المكاتب	عدد المكاتب	عدد الطلبة
مدرسة	18	500
مكاتب رشدية	1	74
مكتب الصبيان	44	756
مكتب ابتدائي للاتين	2	90
مكتب الأرمن الكاثوليك	6	344
مكتب الأرمن الغريغوريين	8	460
مكتب الأرمن البروتستانت	1	50

جدول رقم (19)

عاملت الدولة العثمانية رعاياها من مختلف الملل والطوائف بالعدل والمساواة، ولم تكن تسمح بتجاوزات فئة على أخرى، إذ تتدخل لوضع حد لهذه الأمور، إذا ما تعرضت ملة ما إلى أذى أو مضايقات من ملة أخرى، ولم تتوان هذه الملة أو تلك عن تقديم الشكوى إلى السلطات العثمانية، لما لمسوه منها من عدالة وتسامح، وأنه لا يظلم عندها أحد. فقد تقدم بطريرك الأرمن" ماتيوس ياكابوس" إلى الباب العالي سنة 1261هـ بشكوى حول مجموعة من السكان أقدمت على اقتحام الكنيسة ، جاء فيها : ".. إن مجموعة من السكان قد أقدمت على اقتحام كنيسة أنَّا مريم" الأم مريم" وتفتيشها والدير الذي تحت حماية المجموعة الأرمنية بقضاء الرها. لذلك يطلب البطريرك أن يصدر الباب العالي أمراً لمنع أو لوضع حد لمثل هذه التصرفات".[lii] يتضح من هذه الوثيقة أن عملية الاقتحام تمت من قبل فرقة عسكرية، وربما كانت القوانين العثمانية تمنع تفتيش أماكن العبادة،لذلك تم إرسال هذه الرسالة إلى الباب العالي. أو ربما أن السلطات العثمانية بدأت تساورها الشكوك حول تصرفات بعض أفراد الأرمن، مثل إخفاء بعض الأسلحة والمناشير التي كانت تحرض على الثورة ضد الدولة العثمانية. لذلك أقدمت على تفتيش بعض أماكن العبادة التابعة للملة الأرمنية ، ففي مراسلة تلغرافية مشفرة من والي حلب السيد كاظم إلى نظارة الداخلية بتاريخ 18 نيسان 1331هـ، " أن والي حلب يعلم أنه أرسل إشعاراً إلى قائد الفيلق العسكري، بهدف القيام ببعض التحريات بالكنيسة ومنازل تابعة للأرمن بأورفة، وإثر عمليات التفتيش، فقد تم العثور على وثائق وأسلحة، وقد أحيلت الوثائق للترجمة".[liii]

يبدو أن بعض العناصر الأرمنية بدأوا يتأثرون بما كان يقوم به إخوانهم في الدولة العثمانية من مشاغبات، بغية التحريض على الدولة، وإثارة الاضطرابات في وجهها، حيث أرسلت السفارة الفرنسية تقريراً بتاريخ 23 أغسطس 1910م يحمل العدد 87 إلى متصرف أورفة، مفاده أن الرهبنة الفرنسية بأورفة قد تعرضت للاعتداء من طرف شخصين تابعين إلى الملة الأرمنية، المقيمة في نفس المدينة المذكورة. وبما أن هؤلاء مستمرون في مضايقة الرهبانية فقد جاء وكيل القنصل الفرنسي إلى مقر المتصرف وقدم شكوى بالأمر.[liv]

لم تقتصر اعتداءات الأرمن على أبناء الملل الأخرى، بل وصل بهم الأمر إلى الاعتداء على بعضهم البعض، وربما هذا الأمر يرجع إلى إثارة الشغب الأرمني ضد الدولة، كما كان يفعل إخوانهم على أراضيها:" على أثر التحقير الذي بدر من المدعي "دونوماك" لأحد المسؤولين من جماعة الأرمن، وذلك خلال إقامة الترميمات بالمقبرة الموجودة بالقرب من الكنيسة الأرمنية بأورفة، فقد تم إيقافه، والتحقيق معه"[lv]

وحاولت بعض الجماعات الأرمنية التهرب من الخدمة العسكرية ومن دفع البدل العسكري – بعد عهد التنظيمات- وقد جاء في إحدى الوثائق:" مراسلة من والي حلب إلى متصرف أورفة، التثبت من أن الجماعات الأرمنية الكاثوليكية قد أدلت بمعلومات

صحيحة عن أعدادها الحقيقية، لأنهم حاولوا إخفاء العدد الحقيقي لهم بغية التهرب من دفع البدل العسكري".[lvi]

ولم يهدأ الأرمن ولم يستكينوا، من بذر الشقاق بين الملل المسيحية، وحتى بين أنفسهم، إلا أنه كان هناك بعض العقلاء منهم يرفضون هذه الأساليب المشينة، فقام بعض رجال الدين من اللاتين والكاثوليك، وحتى من الأرمن، باستنكار ما كان يفعله بعض المشاغبين الأرمن ضد الملل الأخرى، وقد أرسل رجال الدين رسالة إلى الباب العالي يشكرونه على الجهد الذي قام به، من أجل تثبيت الأمن في أورفة:" على أثر المشاكل التي جَدَّت بين الملتين اللاتينية والكاثوليكية، وتدخل الدولة العثمانية لفض النزاع، ووضع حد للخلافات، فإن زعماء الملتين المذكورتين يتوجهون بالشكر إلى الباب العالي. ونظراً لما قام به بعض الأشخاص من الملة الأرمنية من إخلال للرأي العام بأورفة، لذلك يعبّر رجال الدين الأرمن عن أسفهم لما قام به بعض هؤلاء المشاغبين. ويشكر رجال الدين اللاتين والكاثوليك والأرمن الدولة، لما قامت به من حماية للمؤسسات التعليمية، وتقديم العلاج الضروري للمصابين".[lvii]

وعلى الرغم من المشاغبات التي كان يقوم بها بعض العناصر من الملة الأرمنية، لم تكن الدولة تعاملهم بنفس المعاملة، بل اعتبرت أن جميع الملل من أبنائها، ولا فرق بين ملة وأخرى، ولم تكن لتسمح بأن يعتدي أحد من ملّة على أخرى، وخصوصاً إن كان من الملة الإسلامية. ونقل أن أحد المسلمين قد اعتدى على أرض تابعة للوقف الأرمني، فتدخل الباب العالي لإنهاء هذا الخلاف:" الصدارة العظمى تأمر بأن يتم النظر في مسألة المبنى الذي أقيم بالأرض الوقفية التابعة للطائفة الأرمنية بأورفة، وقد جاء هذا القرار على أثر الشكاية المرسلة من بطريرك الأرمن".[lviii]

ومن حسن معاملة الدولة العثمانية لرعاياها، وخصوصاً الأرمن، بالرغم من قيام بعضهم ببعض المشاغبات، لا بل ذهبت إلى أكثر من ذلك، عندما تكفلت وتعهدت ببناء إحدى كنائس الأرمن في أورفة على نفقتها:" فقد استدعى مجلس المبعوث بولاية حلب البطريرك الأرمني، وذلك على أثر الموافقة على طلب ترميم كنيسة أنا مريم "الأم مريم" وإعادتها إلى هيئتها الأصلية، وحسب القرار المتخذ أنه سيتم ترميم بيت الراحة في الكنيسة والمكتب، وبعض المباني داخلها وخارجها، تأمر الصدارة العظمى نظارة المذاهب والعدل بضرورة إرسال إشعار إلى السلطة المعنية لإعلامهم بأن مصاريف الترميم ستتكفل بها الدولة العثمانية".[lix]

ومن أجل ضبط الأمور وعدم تفلتها بالنسبة إلى دور العبادة لجميع الملل من بناء وترميم، اشترطت الدولة قبل الشروع بأي عمل، أن يتقدّم أصحاب العلاقة بطلب إلى الجهات المختصة، مرفقاً ببعض المعاملات الإدارية والمقاييس إلى البلدية.[lx]

ولم ترفض الدولة أي طلب مقدم من أية ملة لبناء كنيسة أوترميمها، إذا كان مقدماً وفق الأصول، ومن دون مخالفات قانونية ، ومثال على ذلك " موافقة نظارة العدل على الطلب المقدّم من الملة الكلدانية في حارة نعمة الله بأورفة، بتحويل المبنى الذي أنشئ منذ ست عشرة سنة إلى كنيسة ".[lxi]

وكانت تصدر الموافقة من الباب العالي على بناء الكنيسة، مرفقة بكل التفاصيل كالتالي:" قرار صادر عن مقام الصدارة العظمى بتاريخ 18 رمضان 1331هـ، الصدر الأعظم ومعه نظارة المالية ونظارة المذاهب والعدل، يوافقون على إقامة كنيسة بحارة نعمة الله الواقعة في مدينة أورفة، وتبلغ مساحة الكنيسة الإجمالية 980 متراً مربعاً. كما يوجد تفصيلات لجميع المقاسات طولاً وعرضاً والطوابق وحتى النوافذ".[lxii]

وقد سمح للملل والطوائف غير الإسلامية بإنشاء المعابد والكنائس وترميمها، وإن كنت على مقربة من أماكن العبادة للمسلمين أو إن وجدت في أحياء إسلامية ، حيث " طلبت الملة البروتستانتية توسيع المعبد والكنيسة التابعة لها والمتواجدة بحارة "هاسكي" بقبة أورفة.. وبقرب الكنيسة والمعبد مقبرة للمسلمين والجامع الشريف. إذاً ليس هناك أي مانع من ترميم الكنائس والمعابد، وإن وجدت بالأحياء التي يسكنها المسلمون بشرط مراعاة المسافة الفاصلة بينهم".[lxiii]

الخاتمة:

حكم العثمانيون إمبراطورية متنوعة، مثلها مثل أي دولة أخرى في التاريخ؛ وفي هذا المجتمع المتعدد والمتنوع في الديانات، نجح المسلمون والمسيحيون في التعبد، ودرسوا جنباً إلى جنب، مغنين ثقافتهم المتميزة من التقاليد والممارسات القانونية المتبادلة.

وكان المجتمع الأورفي مثالاً كلاسيكياً للمجتمع التعددي، وفيه المزيج من الملل المتعددة، لاختلاط أفراده وليس اندماجهم، فكل فريق يلتزم بدينه وثقافته ولغته وأفكاره وأساليبه. وكانت سياسة العثمانيين تجاه رعاياهم من المسيحيين واليهود جزءاً من نمط أكبر للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين التي برزت خلال قرون متعددة من الحكم الإسلامي. فالاتهامات التي كانت توجه إلى الدولة العثمانية هي غير صحيحة، فالتهمة بالقمع والوحشية كانت افتراءات غربية.

والدليل على ذلك أنّ المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا في أورفة قروناً طويلة، وجنباً إلى جنب، من دون مشاكل تذكر، باستثناء بعض الأحداث التي قام بها بعض العناصر الأرمنية، التي في محاولة منهم للعبث بأمن الدولة. وقد عاملت الدولة العثمانية جميع الرعايا بأورفة، حسب ما تنص عليه الشريعة الإسلامية، حيث عاملتهم كأهل ذمة ؛ وقد اهتمت الدولة بحياة المواطنين من كل الجوانب العلمية والصحية

والمعيشية. ففتحت لهم المدارس، وأقامت المستشفيات، وسمحت لهم ببناء كنائسهم وترميمها، وذهبت إلى أكثر من ذلك، عندما تكفلت بترميم بعض الكنائس على نفقتها الخاصة. وقد لاحظنا من الجداول التي استعرضناها أن أعداد المسيحيين كان في تزايد مستمر في أورفة وأقضيتها، وقد أتيحت الفرصة لجميع الملل والطوائف بالحصول على الوظائف الحكومية من دون النظر إلى العرق والدين والمذهب.

ملحق رقم

(1)

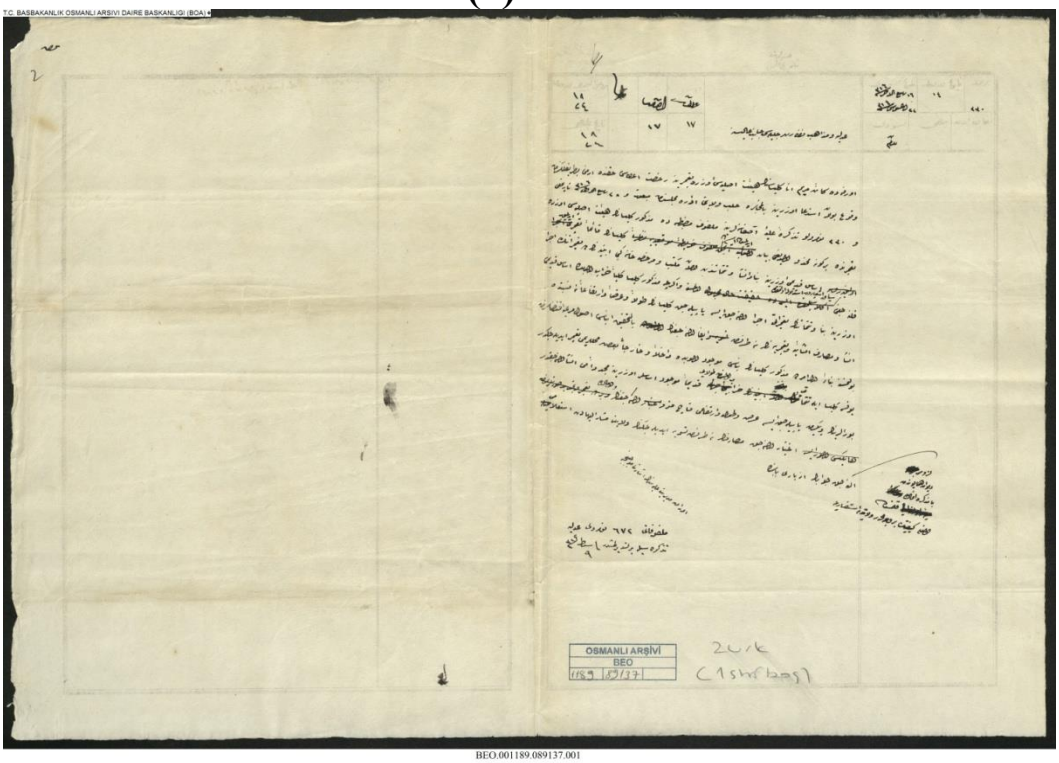

B.O.A: BEO 1189/89137

وثيقة تظهر تعهّد الدولة العثمانية بتكفلها ببناء كنيسة للملة الأرمنية.

ملحق رقم
(2)

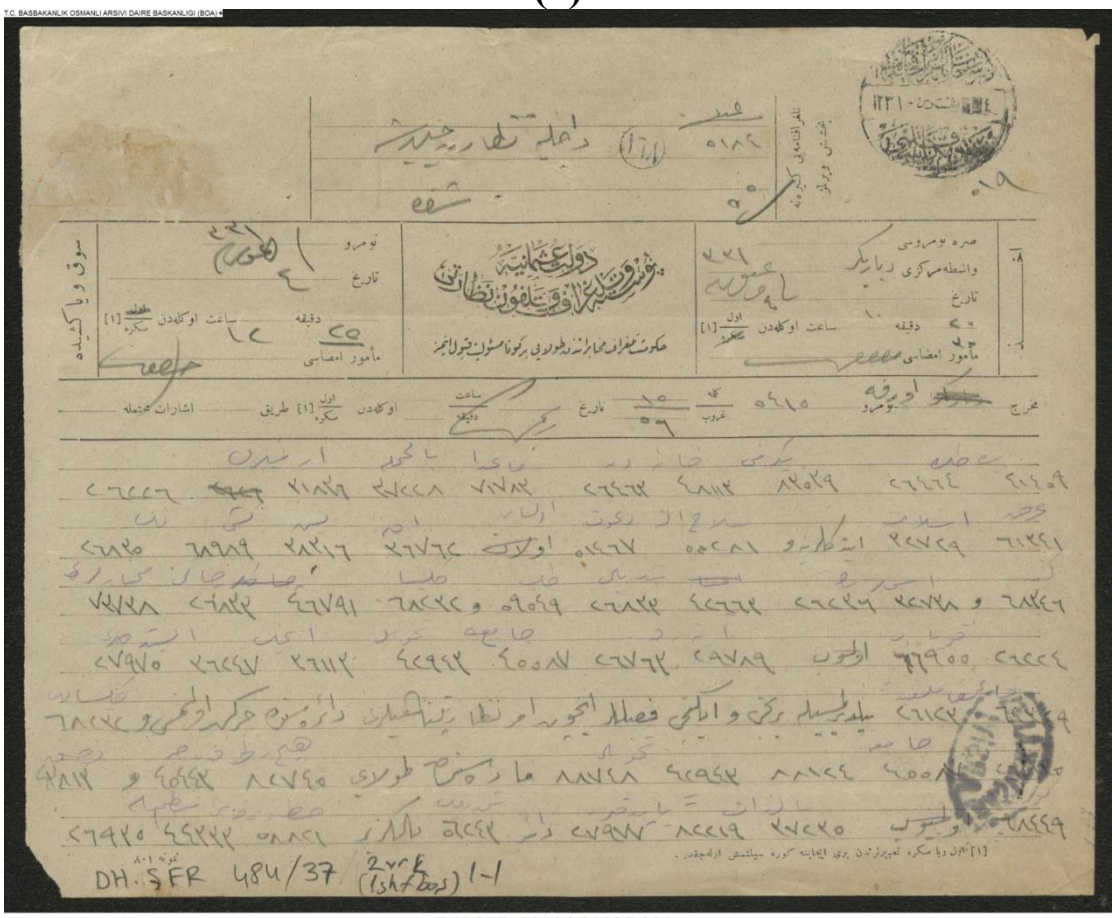

DH.ŞFR.00484.00037.001

الوثيقة تظهر أن عدد من الملة الأرمنية دخلو الإسلام ويطالبون الدولة العثمانية بتحويل الكنيسة إلى مسجد.

كأن هذه الوثيقة عبارة عن أرقام فقط، لكن المدقق فيها تظهر له جليًا الكتابة العثمانية (الأرقام هي شفرة التلغراف)

ملحق رقم
(3)

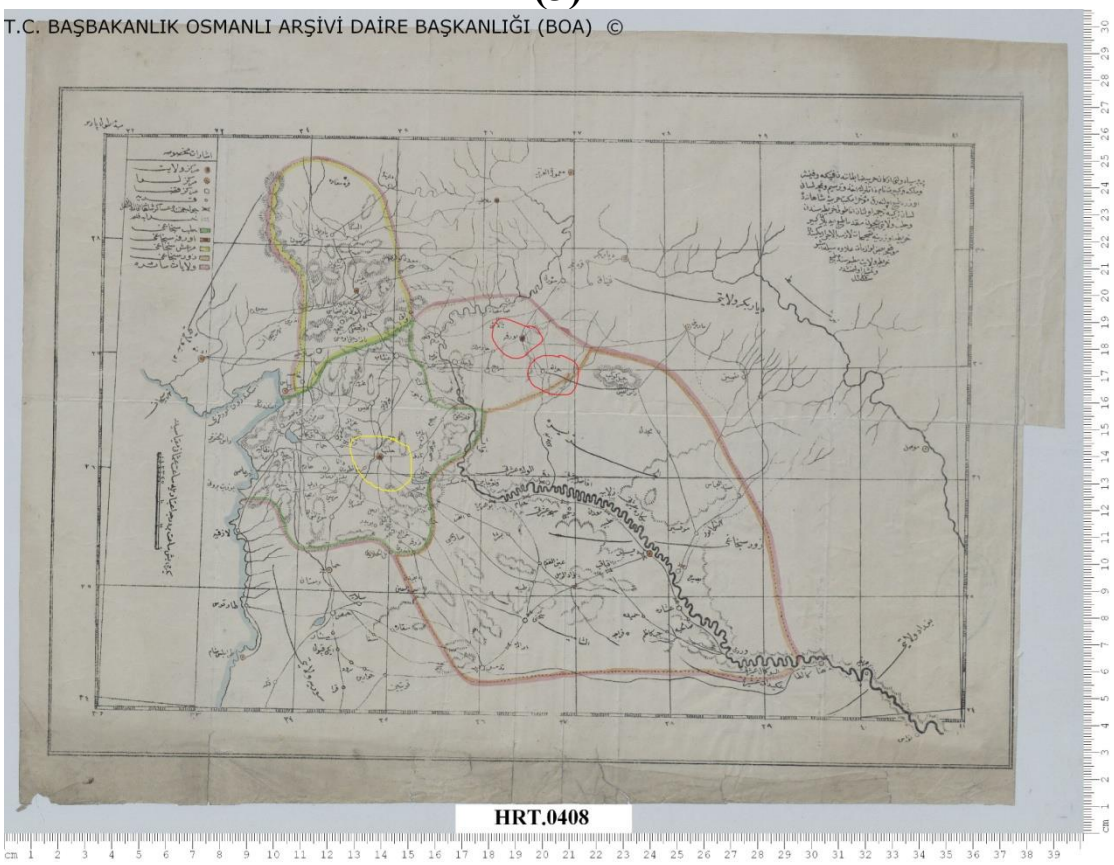

خريطة تظهر موقع أورفه بالنسبة للمناطق التابعة لولاية حلب

لائحة المصادر والمراجع

[i]-الموسوعة الإسلامية التركية، مجلد 16، دكتور عزمي أوزجان، مادة أورفة، استنبول، 1997، ص 336- 337.
[ii]-ج.ب.سيغال: الرها المدينة المباركة، ترجمة يوسف إبراهيم جبرا، قدم له ونشره: غريغوريوس يوحنا إبرهيم، متروبوليت حلب، دار الرها، حلب، ط1، 1988م، ص- ز
[iii]-فؤاد يوسف قازانجي: أصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين، بغداد، 2010، ص 35- 42- 66.
[iv]-الموسوعة الإسلامية التركية، مرجع سابق، ص 338.
[v]- Mehmet Said Şahinalp: Şanliurfa Şehrïnin KuruluŞ Ve GeliŞmesi, Ankara Universitesi Sosyal Bilmler Enstitùsü, 2005, p.131.
[vi]- Bahattin Turgut: urfa vakifleri 1850- 1900, Doctora Teji, Marmara Univesitesi, Sosial Bilmler Enstitüsü, Istanbul, 2013, p.20.
[vii]-سالنامة ولاية حلب سنة 1322هـ، ص 397.
[viii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1288هـ، ص 133.
[ix]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1310هـ، ص 209.
[x]-المصدر نفسه، ص 209.
[xi]- سالنامة ولاية حلب لسنة 1288هـ، ص 140.
[xii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1288هـ، ص 144.
[xiii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1288هـ، ص 146.
[xiv]- Mehmet Said Şahinalp: op.cit, p.113- 114.
[xv]- Ibid: pp. 132- 133.
[xvi]- Fahmettin Aydin: Urfa LLinin inaç Coğrafyasi, Elagiğ, 1997, p.46
[xvii]- Mehmet Said Şahinalp: op.cit, pp 140- 141.
[xviii] - Fahmettin Addin:op.cit, p 46.
[xix]-أحمد آق كوندز: الوثائق تنطق بالحقائق، ترجمة مصطفى اليتي، وأنعم عثمان الكباشي، وقف البحوث العثمانية، استنبول، 2014، ص 222.
[xx]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1284هـ، ص 415.
[xxi]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1289هـ، ص82.
[xxii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1290هـ، ص 160
[xxiii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1308هـ، ص 240.
[xxiv]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1309هـ، ص 168.
[xxv]- B.O.A: DH. SFR, 484/37
[xxvi]- B.O.A: A.MKT. MHM, 65/6-4
[xxvii]- Mehmet Said Şahinalp: op.cit, pp 137- 138
[xxviii]- B.O.A: DH. TMIK. M, 13/23
[xxix]- B.O.A: HR. Sys, 54/4-2.
[xxx]- B.O.A: HR. Sys, 54/4-3.
[xxxi]- B.O.A:HR. Sys, 54/4-5.
[xxxii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1317هـ، ص 299.

[xxxiii]- B.O.A: DH.H, 25/3-2.
[xxxiv]- B.O.A: DH, MKT, 509/21.
[xxxv]-راجع سالنامة ولاية حلب لسنة 1288هـ، ص 49 إلى 54.
[xxxvi]- B.O.A: I.TAL, 196/79.
[xxxvii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1318هـ، ص 314.
[xxxviii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1321، ص 420.
[xxxix]- Fahmettin Aydin: op.cit, p 68.
[xl]- Ibid: p 79-80.
[xli]- Ibid, p.83.
[xlii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1299هـ، ص 168.
[xliii]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1303هـ، ص 225.
[xliv]215 ص ،1305هـ لسنة حلب ولاية سالنامة-
[xlv]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1306هـ، ص 213.
[xlvi]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1307هـ، ص 188.
[xlvii]- Fahmettin Aydin: op.cit, p.67.
[xlviii]- Ibid: p 69.
[xlix]-سالنامة ولاية حلب لسنة 1286هـ، ص 230.
[l]- Fahmettin Aydin: op.cit, p 76.
[li]- Mehmet Said Şahinalp:op.cit, p 160.
[lii]- B.O.A: A.DVN: 13/5.
[liii]- B.O.A:DH. ŞFR: 469/27
[liv]- B.O.A: DH. H, 25/3-2.
[lv]- B.O.A: DH. H, 25/48-3.
[lvi]- B.O.A: DH, TMIK.M, 229/31-1.
[lvii]- B.O.A: Y.PRK. PT, 1/19.
[lviii]- B.O.A: A.MKT.MHM, 545/33.
[lix]- B.O.A: BEO: 1189/80137.
[lx]- B.O.A: BEO: 2242/169146-2.
[lxi]- B.O.A:BEO: 4281/321021.
[lxii]- B.O.A:I.AZN:113/20-2.
[lxiii]- B.O.A: I. ŞD, 49/2728-1